Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

اختيار موضوع بحث تاريخي

" المفاهيم..والشروط.. وكيفيات الاختيار"

Choosing a historical research topic

«Concepts...conditions...and selection modalities...»

Bouagada Abdelkader عبدالقادر بوعقادة

أستاذ محاضر. أ، جامعة البليدة2 لونيسي علي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية،

مخبر البحوث التاريخية والحضارية

bouagada_aek@yahoo:fr

جامعة البليدة 2 لونيسي علي Blida 2 University of Lounici Ali

تاريخ الاستلام: 2022-11-20 **تاريخ القبول :** 2022-12-22

الملخص باللغة العربية:

يمثل اختيار موضوع بحث تاريخي أكاديمي -أو أي موضع في علم من العلوم-بالنسبة للباحث همًا كبيرا وهاجسا ملازما، سواء كان الباحث الأكاديمي مبتدئا أو متمرسا، فهو يشكل بالنسبة لهذا الباحث الهوية المعرفية التي ستلازمه عبر الزمن، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الموضوع بالنسبة للباحث. وإنّ اختيار الموضوع له من القيمة ما يجعله ركنا أساسيا في العملية البحثية، وعليه يأتي هذا المقال المنهجي ليبث في مسألة اختيار موضوع في تخصص التاريخ، وما لهذه العملية من أهمية وقيمة، وما يجب لها من آليات ومستلزمات، وكيف يكون الاختيار وشروط التي يجب تحقيقها للوصول إلى موضوع يناسب الباحث ويتلاءم وطموحاته، مع النظر في العراقيل التي قد تقف حاجزا أما تحقيق الغرض، وكيفية تجاوزها.

الكلمات المفتاحية :البحث، الباحث، الدراسات، الموضوع، التاريخ.

Abstract:

Choosing an academic historical research topic - or any topic in a science - for the researcher represents a great concern and obsession, whether the academic researcher is a beginner or an experienced one. . And the choice of the topic has value that makes it a cornerstone of the research process, and accordingly this systematic article comes to discuss the issue of choosing a topic in the field of history, and the importance and value of this process, and the mechanisms and requirements that it must have, and how the choice is and the conditions that must be achieved to reach To a topic that suits the researcher and his aspirations, while considering the obstacles that may stand as a barrier to achieving the purpose, and how to overcome them.

Keywords: research, researcher, studies, topic, history.

مقدمة:

لاحظنا طيلة مدة التدريس الجامعي في تخصص التاريخ - الذي نعتز بالانتساب إليه، وسرنا لأجل تحقيق أهدافه العلمية والبيداغوجية- أنّ الطالب الباحث منذ مراحله الأولى - وهو يتناول مواضيع البحوث بكل أنواعها وعلى اختلاف مجالاتها- يجد صعوبة في اختيار موضوع بحث لاجتياز مرحلة تعليمية منذ مذكرة التخرج في مرحلة ليسانس إلى الماستر إلى نهاية المطاف ونيل الدكتوراه. ولتجاوز صعوبات البحث جعل المشرع عنصر المشرف وفريق التكوين ملاذا للطالب الباحث، يجد فيهما غايته، ويتنفس من خلالهما الصعداء، ويتجاوز بهما الصعوبات، ولكن إذا كان هذا المشرف - بالتحديد - ضروريا في المرحلة الأولى، فإنّه في المرحلة المتأخرة لا يمكن أن يكون ظلا للباحث باعتبار النضج والمسؤولية وطبيعة المرحلة. ومع ذلك يبقى المشرف هو الربان الذي يسير سفينة بحث الطالب، كما أنّ الباحث من الواجب عليه أن لا يعتمد على المشرف في كل لحظة ومسألة، باعتبار أنّ طقوس البحث تقتضي أن يتكفل الباحث بالموضوع اختيارا وبحثا وتنظيما وطرحا، وما على المشرف إلا التدخل وقت الحاجة أو الضرورة، وحينما يرى أشرعة البحث تتجه إلى غير الغاية التي جاء لأجلها البحث. ومن هنا كانت واجبات البحث تقع على كاهل الباحث من البدايات والاختيارات والرغبات إلى النهايات والخلاصات والنتائج فآفاق الموضوع.

لا شكّ أنّ اختيار موضوع البحث يقع على عاتق الباحث أساسا، ذلك أن الموضوع سيصير هو الهوية التي يتميز بها الباحث المتخصص عبر مساراته العلمية المستقبلية، ومن هنا

لابد أن يخرج الموضوع من صلبه. ولكن صعوبة الاختيار تظل دوما مشكلة تنتاب الباحث المبتدئ، وربما حتى غير المبتدئين، ومن هنا جاء هذا الطرح حول إشكالية اختيار وانتقاء موضوع البحث التاريخي ، وسأطرح في هذا الباب بعض التعاريف والمفاهيم التي تخص موضوع البحث التاريخي، ثم بعض التقنيات للاختيار، ثم أسئلة تقود الطالب إلى العناية بعمق الموضوع...ليبقى السؤال المنهجي الذي سيتعمق فيه المقال هو مسألة اختيار موضوع البحث التاريخي؟ والكيفيات التي يتوجب على كل من يروم الخوض في التاريخي، وبالأخص الطلبة الباحثين المتخصصين في التاريخ؟ والشروط التي يجب توافرها لاختيار موضوع بحث يصير هوية معرفية خاصة بكل باحث متميز به بالأساس؟ ولأجل التمكن من الموضوع نطرح أسئلة تحيلنا بالضرورة على أسئلة نجعلها في خدمة الموضوع من البدء إلى النهاية سنجيب على بعضها ونترك الباقي للمهتمين بالبحث، ومنها :

1- ماهية البحث وموضوعه وخصائصه وأبعاده وقيمته ؟
2- ومتى يختار الموضوع ؟ وهل ظروف البحث تتوفر بالشكل الذي يوصل إلى الغاية؟ والعناصر المساهمة في ذلك؟
3- من يختار الموضوع؟ وهل نحن في عصر الطالب الباحث؟
4- ولماذا نختار موضوعا، وبالضبط هذا الموضوع ؟ أو كيف لفت انتباهي هذا الموضوع أو ذاك؟
5- وما الآليات الكفيلة بانتقاء موضوع للبحث التاريخي؟

لنصل إلى كيفية وشروط اختيار الموضوع ؟ وهو الإشكال الذي خصصنا له هذا المقال للحديث عنه. وقبل الخوض في عمقه لابد من توضيح بعض المفاهيم والمعطيات التي نعدها أساسية خادمة للموضوع.

- **قواعد وقناعات قبل الاختيار:** يجب التيقن قبل الخوض في البحث من قضايا متعددة تأتي بمثابة قناعات ومسلمات تزيد الباحث اقداما على البحث، وتكون له أداة في التقديم والتقدم في الأعمال البحثية، ولا شك أن أهمها:

أ-أنّ **العلم يستوعب الجميع وأكثر**، وإنّنا لا نستطيع استيعاب العلم كله ولكن العلم يستوعبنا. فالعلم بحر لا تكدره الدلاء، وكنز لا يفنى بالتداول بعد الاقتناء. ومن الواجب أن نستزيد في القراءة حتى نتمكن من المعرفة، فكل القراءات والتعاليم السابقة تحضر في سبيلا اختيار الموضوع، ولا شك أن "الموروث العلمي" نوعان:

- **الموروث المكتسب الذي يأتي** عن طريق المطالعات المستمرة والقراءات الدائمة منذ الصغر، وكذا مكتسبات من خلال سنوات الدرس من الابتدائي إلى غاية زمن التفكير في الموضوع

- **الموروث الفطري:** وهي أن الله تعالى قد أودع في كل انسان بداخله نواميس توجهه، وصفات تسهل مساراته وسلوكه، فكل إنسان له ميولات بداخله جُبِل عليها. وهي دفينة في ذاته يستطيع اكتشافها والقفز إلى الأمام بواسطتها إن تمكن من حلّ وفك شفرتها.

ب- إن **طبيعة وروائز الباحث** هي التي تسيّره نحو البحث في ميدان ما دون عناء إن سايرها. ولا شك -أيضا- أن الناس مختلفون فيما بينهم بتلك الروائز التي تشكل خصائصا نفسية وروحية مميزة، حيث تتفاعل هذه الروائز مع القضايا الملائمة لها والمتوافقة معها وتتعارض وتتضاد مع الاختيارات التي لا توافق شخصيتها وميولاتها.

ت- **العلم له طقوسه** ورمزياته وحرماته، فهو يلفظ كل من لم يلتزم بمبادئه وأخلاقه. وقد حذر الأوائل من مغبة اتخاذ العلم مطية لمآرب شخصية مقيتة، أو وسيلة لظهور على الآخرين في غير مظهر الاحترام للعلم والذات المنتسبة له. فالعلم يطرد من لا يلتزم بطقوسه. كالتواضع والاحترام وعدم الاعتداء.

ث- التوفيق من الله **والنية** هي أساس العمل"**إنّما الاعمال بالنيات**" و"العلم يعطيك بعضه ،ولكن إذا أعطيته كلك، ويحرمك من سمته إذا خذلته. ودون ريب أنّ النيات التي هي محلها القلب دوما كانت ملاذ الشرفاء المخلصين فيوفقوا إلى النجاح بفك المعضلات أو تقديم البدائل التي تسهل على الناس المسير، فيصيرون قامات وقدوات يذكرون بعد الوفاة، ويؤجرون على ما خلفوا من خيرات.

1- خصائص الموضوع المختار ومميزاته:

إنّ الحديث عن قيمة الموضوع الذي سيختاره الباحث هو الحديث عن جملة ما يترتب من الخصائص عن الموضوع الذي سيصير لصيقا بالباحث، ومن جملة مميزاته أنّ:

أ- الموضوع هو **رغبة** جامحة من الباحث. والرغبة عنصر أساسي، حيث ينطلق الباحث من رغباته الدفينة

وتوجهاته الشخصية في تحديد الموضوع من كل جوانبه " من حيث طبيعة الموضوع، ومجاله، والعناصر المختصة به، وحتى المشرف الذي سيساعد في فهمه وشروحه ومقاصده. فالرغبة أمر حتمي في اختيار الموضوع أو كتابته بعد جمع المادة والتحليل ثم الوصول الى المراحل الأخيرة. فالرغبة أساس البحث بها يستمر ولأجلها يضحي الباحث.

ب- الموضوع هو **اهتمام** تكون منذ مدّة عبر قراءات وتفكير عميق، ليجد الظروف الملائمة، ويقوم الباحث بتجسيده. فلا يتصور أن موضوع البحث هو وليد اللحظة أو يأتي طفرة، وإنّما هو عبارة عن قضايا تخمرت في الذهن بواسطة قراءات لينفجر عبر عنوان يأتي تلقائيا، أو بإمعان قليل من النظر والتفكير لفرزه وطرحه وتحديد اشكاليته.

ت- هو **الهوية الفكرية** التي سيؤسس الباحث على ضوئها مساراته البحثية . نعم يصير موضوع البحث بالنسبة للباحث هو هويته التي تبقى لصيقة باسم الباحث وموضوع البحث، حيث يقع التجانس بينهما، فلا يذكر البحث إلا وتناهى إلى أذهان الناس الباحث المختص به والعكس صحيح...ليتأسس على ذلك مسار في الطرح خاص بالباحث وهويته البحثية المعرفية.

ث- الموضوع المختار هو **حقل النشاط البحثي** الذي سيفرز موضوعات جادة، ففي خلال تحليل الموضوع تتولد عنه موضوعات أخرى بالضرورة. وغالبا ما تكونت مدارس واتجاهات بناءً على ذلك النتاج الذي تكون على إثر الموضوع الأم. كما نعتقد أنّ الحصول على موضوع بحث جاد ومثير ومهم إنّما يكون ثمرة حضور في الدرس التاريخي منذ البدء...فالموضوع هو ثمرة جهود ماضية، تتكون فيها المسارات والأفكار وتتحقق فيها صفة الباحث العلمية والبحثية، ولا نخطئ حينما نشبه موضوع البحث "بحبة التين" "**الباكورة**" التي تسقط لوحدها تلقائيا بعدما ينضج مع الزمن ليؤتي أكله بشكل لائق.

ج- أما **مرتبة وموقع الموضوع** في البحث العلمي التاريخي، فإنّه يأتي في المرتبة الثانية – بعد النية والعزم- لتليه الإشكالية ثم التساؤلات ثم العنوان ثم الجمع للمعلومات وتوثيقها بالاعتماد على المصادر والدراسات ، ثم ترتيبها، ثم قراءتها وتحليلها ومقارنتها ثم تقييم ونقد ببعضها ثم الخلوص إلى الاستنتاجات والنتائج .

2- عناصر أساسية واستراتيجية للبحث:

يقوم البحث العلمي الأكاديمي على عناصر أساسية، ويأتي الموضوع كأهمها، ولكن لا يمكن فصله عن بقية العناصر إذ البحث كل مترابط، ولا يجب على الباحث صاحب الموضوع أن يتغافل عن أحد منها، وهذه العناصر هي:

أ- **موضوع البحث**: وهو ما نحن بصدد تحليله وتفكيك عناصره والنظر في مدى جديته، وقوة طرحه، وحضوره بين الناس كمشكل أو قضية تستوجب الوقوف عندها، والموضوع هو ما يلفت انتباه الباحث بعد قراءات، فكلما كان الموضوع جادا دلّ على جدية صاحبه، وكلما كان جذابا دل على قوة طرح الباحث فيه، فالموضع هو الذي يختار قارئيه بعد باحثيه، وإذا كان البعض يطرح مقولة أن الباحث هو الذي يختار الموضوع نقول بأنّ "الموضوع هو الذي يختار الباحث، وليس كل البحاثين يختارهم الموضوع"، وإذا كان البحث التقليدي الموسوم بـ" التاريخ السردي" يرتاده كل باحث، فإنّ البحث الحديث الموسوم بـ" التاريخ الإشكالي" لا يرتاده إلا من أوتي نظرا فكريا وثروة معرفية يستطيع من خلالها أن يقدم الجديد. والفرق - كذلك - بين الباحث التقليدي والحداثي يكمن في إعمال المناهج والتوليف بينها، خصوصا في الاعتماد على مناهج العلوم الإنسانية عامة.

ب- **الباحث**، واستعداداته ونضجه للعملية البحثية، حيث أن الباحث هو العمود الفقري في العملية البحثية، ولا شك أن التكوين المعرفي الأولي، بالإضافة إلى السمات التي طالما تحدث عنها ابن خلدون والسخاوي وهو يسردان شرائط القائم على التاريخ ومواصفاتهما الخلقية والذهنية من حلم وصبر وتضحية واجتهاد والإلمام بالمعارف وحسن النظر، كلها وغيرها يجب أن تتوفر في القائمين على العملية البحثية في الموضوع

ت- **المشرف**: وهو الشريك في العملية البحثية من البدء إلى نيل الإجازة ن ثم نشر البحث كتأليف موزع. وهو الجزء الأساسي في البحث ، فالمشرف ينطلق في العملية البحثية في الموضوع منذ البدء حينما يتأسس كطرف مؤيد ومسير وموجه للباحث وموضوعه، وينتهي بوضع اسمه إلى جانب الباحث، و الذي سيخرج باسمه أيضا. المشرف هو

الأب الروحي للموضوع، فقيمته مقدسة ورتبته مؤسسة وعمله في متابعة البحث والباحث كشعرة الميزان، ومن هنا كان اختيار المشرف بناء على رغبة البحث أمرا ضروريا باعتبار أن الباحث يختار أباه في الموضوع. فانظر أي اب تختار؟

ث- **المكتبة المتخصصة** " وهي ركيزة الموضوع، ومن خلال ما يتوفر الباحث من مصادر ومراجع يكون توجه الباحث، فقيمة وجود مكتبة خاصة بالباحث هي التي تؤشر على توجهه، كما أن وفرة المكتبات والاطلاع على مخزونها تساعد الباحث على التركيز في الموضوع كما ساعدته في اختيار الموضوع، والمكتبة أنواع بالنسبة للباحث، فهناك خاصة، وهناك العمومية، وتوجد المحلية وأخرى الخارجية، بالإضافة إلى المعطى الجديد وهو الإليكترونية. ولا يمكن لموضوع أن يحقق نتائج باهرة ما لم توجد للموضوع والباحث مكتبة خاصة واطلاع على رفوف المكتبات الأخرى. وللعلم هناك عدد من أنواع المكتبات بحسب طبيعة التخصصات التي التزمتها، وبحسب حجمها بين كبيرة وصغيرة، وبين مكتبات لاتزال مخزوناتها مخطوطة وأخرى متنوعة، وأحسن المكتبات ما وفرها صاحبها بحسب طبيعة البحث والموضوع.

ج- **إطار عمل وسياقات البحث** "الجو العام للبحث" الذي يؤسس للتركيز، نعم إن المحيط اذي يكتب فيه الموضوع ويتحرك فيه صاحبه له تأثير عظيم على جدية البحث وقيمة الموضوع، وإن أوضاع الفوضى الاجتماعية أو الفوضى في المكتبات وجو العمل فيها هو ما يحدد قيمة الموضوع وحسن طرحه...كما أن طبيعة الأشخاص الذين يتقاطعون مع الباحث في اهتمامات معينة قد يفيدوا الموضوع ويعطوه طروحات جديدة ويفتحون له منافذ مفيدة للموضوع، ومن هنا كانت خطوات الباحث محسوبة، وخطواته مقيدة وأوقاته مبرمجة، وكل ذلك يفيد في التركيز في الموضوع. ونحن نعلم مدى الفوضى العارمة داخل المجتمع، وقلة العناية بالوقت الذي سنخوض فيه فيما يلي.

ح- **الوقت أو الزمن**، الوقت هو الحياة، فمتى ضاع جزء من وقت الموضوع ضاع التركيز وانقطع حبل التواصل فيه، ويستلزم من الباحث بعدها إعادة وضع القطار على السكة مما يستوجب جهدا آخر. ومن الأكاذيب التي صدقها الناس وحاولا إيهام أنفسهم فيما يخص القضي، هو القول بالتعويض، فالوقت لا يعوض "فإذا ذهب بعضه ذهب بعض من جهد القوم" وإذا جئنا إلى تعويضه فهذا يكون على حساب الوقت الذي يجب أن أكون فيه في مكان ثاني. ومن الضرورة استنزافه والاستفادة منه، وهو مقياس مهم من حيث طوله أو قصره [1]

3- أنواع المواضيع المرصودة في فهارس أقسام التاريخ من حيث الجهد والهدف:

إنّ تتبع فهارس الجامعات ما تحويه من دراسات وأبحاث في مجال التاريخ تعطينا مؤشرات كثيرة، ومنها مستويات الأبحاث المقدمة لنيل شهادة أكاديمية ما، وهذه المواضيع تتنوع بحسب عدة مقاييس فمنها، حسب مقياس:

أ- **الجهد والوعي:** تعطينا أبحاثا تتسم بالعمق جادة تحفر في إشكال له قيمته، وأخرى متميزة بالعموم، تحوم حول الموضوع، وتجمع الغث أكثر من السمين لأجل تحقيق أغراض سطحية، ويغلب عليها التسطيح، فلا يستفيد منه المتخصص بل تكون موجهة للعامة أكثر.

ب- **زمن الإنجاز**: أبحاث يلاحظ فيها التسرع والهرولة وأخرى التؤدة والتأني، فالأبحاث السريعة زمانا تغفل عن كثير من التفاصيل التي تكون غالبا أساس الموضوع ومن مفصلياته، أما الأبحاث المتميزة بالتأني فهي تلك الأبحاث التي تقدم أعمالا جليلة وخلاصات مفيدة وتحاليل لها من الرزانة ما يقدم البديل والاجابة، ولكن الأبحاث المتميزة بالاستطالة في الزمن من دون دافع مقنع، فهي أبحاث قد يتجاوزها الزمن ولا تقدم مفيدا باعتبار تقادم الأدلة ووفرتها لدى كل واحد، وخوض غير الأكاديمي فيها مما يكسبها الشيوع والذيوع فتفقد ميزتها الجماعية. من هناك كان لكل بحث وموضوع له سنه وعمره البحثي بقدر الإجابة السريعة عن القضايا، وإلا عدت من الأرشيف الذي سبقه الزمن، فكثير من الأبحاث كانت سيصير لها السبق في الاكتشاف والبحث لما لها من التفصيل والدليل والطرح، ولكن بحكم استطالتها بات الزمن متجاوزها وقيمتها العلمية ضئيلة.

ت- **الطرح والعرض:** وهناك نوع من الأبحاث والمواضيع التي بمثل ما يوجد منها ما يبني، هناك أخرى تسهم في الهدم، معتمدة " التحليل والنقد والتقييم" وهنا يطرح سؤال الموضوعية في العمل الاكاديمي. حيث يطرح عدد من الباحثين – هادفين التميز والبروز- مواضيع دقيقة ولكنها هامشية مختلف في أصولها وأحداثها ونتائجها، تثير الجدل وتؤسس للنقاش في الثوابت والمبادئ، أفقها ضيق، ولكن غايتها ونتائجها وخيمة. نعم يمكن طرح هكذا مواضيع ولكن بعد بناء الوعي بالتاريخ، وما عداه فهو هدم وإبادة.

ث- **أبحاث من حيث المستندات:** وهي الأبحاث المعتمد على أصول ومستندات، يتميز بعضها بكثرة الاقتباسات، ممتلئة الإحالات، يكون الجمع من المصادر والمراجع، ويخيل إليك أنّ عمل الباحث لا يكمن إلا في تصفيف وترتيب وتنظيم. في حين تأتي مواضيع أخرى يغلب عليها التحليل وتفتقد إلى كثير من النصوص المصدرية أو تحاليل المراجع ذات القيمة في الموضوع. ومن خلال هذا المؤشر نسجل حضور أو غياب شخصية الباحث داخل الموضوع.

4- أنواع المواضيع : من حيث الطبيعة والمستوى:

كما تختلف مواضيع البحث بحسب المستوى الدراسي، كذلك تختلف بحسب المبتغى من البحث في الموضوع. ولذا نجد فروقا كبيرة في قيمة الطرح والتحليل فيما بين مستويات المواضيع، ويكون الاختلاف في المواضيع بحسب طبيعة المنجز ومنها مايلي:

أ- **مواضيع البحث الصغير أو مقال**، وفيه تكون الإشكالية مركزة، والموضوع قليلة صفحاته ومستنداته، وأما الجهد والوقت فهي قصيرة. وغلبا ما يكون التركيز فيها مفيدا لأنه يناقش إشكالية ضيقة مباشرة.

ب- **موضوع مذكرة تخرج ماستر أو لسانس**، وعدد صفحاتها محدود، وإذا كان المطلوب فيها اختبار المنهجية والتنظيم وليس المعلومة والردود. و لا ينتظر منها إلاّ عملا منهجيا بحتا، فإنّ طبيعة المعلومة وعمق الإشكال يظلان شكليا لآن الباحث في مرحلة التدريب ليس إلاّ.

ت- أما **موضوع ماجستير أو دكتوراه**، فإن إشكاليتها عميقة الطرح جديرة بالتفرغ وبذل الجهد، وتحتاج إلى مدّة طويلة الزمن، ومسائلها جليلة القيمة، لأن صاحبها يطرح قضية لم تطرح من قبل، أو طرحت ولكن سطحية، أو أن الدراسات فيها بسيطة أو قاصرة فلم يصل ما سبق من المواضيع إلى المرغوب، ولذا تحتاج إلى مزيد إضاءات وشروح وتحاليل.

ث- أو هو **الموضوع الحرّ** ويكون فيما بعد التخلص من هذه الأعباء والالتزامات الدراسية الجامعية. حيث يكون الباحث في حرية، بعيدا عن كل الضغوط التي قد تؤثر على تركيزه فتشوش عليه، فهو يأخذ الموضوع على روية، ووفق منهجية اكتسبها مع الوقت. و غالبا ما يكون في هذا المستوى من انتهى من جميع الالتزامات والرتب وتفرغ للبحث في إطار مشروع أو فريق بحث أو مخبر، فيكون عمله مركزا، كما يلقى موضوعه العناية، باعتبار أنه نتاج تجربة كبيرة تجسدت في هذا الموضوع.

و كل هذه الأنواع تختلف في البحث من حيث الموضوع، وفي نتائج من حيث العمق، وكذا من حيث التدخل والمساعدة من الأستاذ "المشرف". وما يلاحظ أنّ هذه المواضيع تكون مباشرة في المراحل الأولى، ودقيقة في المراحل المتأخرة. ويمكن أن نمايز مستويات التناول للأبحاث وطابع الموضوعات التي ستصنف قيمة الموضوع وصاحبه كالتالي:

5- مستويات البحوث والمواضيع

اختيار الموضوع مستويات حيث يتدرج الموضوع بحسب المستوى من العموم إلى الخصوص[2] ولاشك أن الباحث سيقلص مساحات اهتماماته البحثية - في الموضوع الذي يتخصص فيه- كلما تطور في الدراسة وتدرج في مسالك الباحثين، فصار التعمق في المواضيع بحسب المستوى، ويظهر هذا في إشكاليات الطرح وحجم التحليل وأنماط المناهج. وحسب التجربة فإنّ مستويات البحث تختلف من باحث لأخر، وبالتأكيد تختلف لدى الباحث نفسه، ولكن من مرحلة لأخرى. والجدول التالي يبيّن مراحل التطور البحثي وتصنيفاته:

جدول: مراحل تطور البحث التاريخي ومستوياته

المستوى	الأول	الثاني	الثالث	الرابع
الطابع	عام العام	العام	الخاص	خاص الخاص
المثال الاجتماعي	التاريخ الحضاري للمغرب	مجتمع المغرب الأوسط	الاحتفالات	الزواج في المغرب الاوسط
المثال الاقتصادي	التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب	الأسواق المغربية	المبادلات وأشكالها	العملة.... أو القمح... أو الغش
المثال الفكري	الحركة العلمية بالمغرب الأوسط	العلوم الشرعية في المغرب الاوسط	الحركة الفقهية في المغرب الأوسط	مدرسة الفقه بالمغرب الأوسط

المصدر: اجتهاد المؤلف

إذا يبيّن الجدول التدرج عبر مستويات البحوث من العام إلى الخاص، ومن التسطيح في الموضوع والاشكال إلى التعمق فيهما، وسينتج هذا تباينا كبيرا بين المستوى الأول والمستوى الأخير. ويجب على الباحث أن يعلم هذا التدرج والترتيب ليقيم بحوثه ويحاول أن يطور في أداءاته العلمية في مجاله، وهذا بالمقارنة بين ما يبحث فيه الآخر، وما توصل إليه هو كباحث.

6- **عناصر لابد منها في تحديد الموضوع:**

يجب أن نعتقد بأنّ اختيار الموضوع وعموم البحث يتطلب عناصر دائمة تتساير وموضوع البحث من بدايات التفكير فيه إلى غاية النهايات وهذه العناصر هي:

أ- **العنصر الذاتي "الميولات":** وهو عامل مهم يدخل أساسيا في تحديد اتجاهات البحث، فهو الرغبة الدافعة الداخلية للباحث التي تسيره نحو مجال البحث وصفة الموضوع وطبيعة العينات، وبدون الرغبة والميول لا يمكن أن يصل الباحث إلى التعمق في الموضوع، أو تقديم الجديد المفيد أو الاستمرارية في البحث إلى النهاية. فالرغبة تولد الجهد والصبر، وتلزم الباحث التضحية في سبيل الموضوع.

ب- **العنصر المختص بالبحث "المجال":** أي تحديد إطار البحث بدقة متناهية من حيث الزمان والمكان، والفكرة والمجال، وهذا حتى يكون التركيز أكثر والعمل أعمق. وإنّ المقصود بالمجال هو ميدان البحث " الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي الفكري" فلكل باحث له ميولات اتجاه ميدان البحث. ونفور اتجاه الآخر.

ت- **المرافق الدافع "المشرف":** يقصد به الأستاذ المتخصص في الموضوع، وقد يكون رسميا تعتمده إدارة الهيئة في الاشراف على الباحث وموضوعه، كما يمكن الاستناد إلى غيره من أهل التخصص الذين يأنس إليهم الباحث، فيساعدونه في ضبط فكرة الموضوع. فالمشرف عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه. والمشرف يمثل الرصيد المعرفي الذي يفتقده الباحث المبتدئ في الموضوع، كما أنّه يمتلك المنهج الذي يوصل إلى تفكيك الموضوع، وهو الاب الروحي الذي يقدم المشورة ويوجه الموضوع إذا رأى من الباحث خمولا أو زيغا عن الطريق الموصل النتائج طيبة للموضوع.

7- **عوامل دقيقة تختص بالباحث في الموضوع:**

الباحث هو العمود الفقري في العملية البحثية وفي تقديم الموضوع وتحليله واستخراج الفوائد منه، وإنّ الباحث حين يرتاد المناطق المجهولة يجب أن يكون محملا بالأسلحة المناسبة، والباحث في البدايات يكون همّه التكوين والتلقين بمعية المشرف، ولكن في مستويات متقدمة يكون همّه الابتكار والذهاب نحو أعمق النقاط المظلمة بقصد إضاءتها والاستفادة من مكنونها[3]. وقد عقد في شأنه المفكرون فصولا يحدّدون فيها شروط الطالب الباحث **فابن خلدون** يحدد شروطا مبدؤها أن يكون عالما بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأمصار والسير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك والمماثلة بينه وبين الغائب من الوفاق أو البون، وما بينهما من خلاف....وتعليل المتفق منها والمختلف...والقيام على أصول الدول والمال ومبادئ ظهورها، وأساليب حدوثها، ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم..[4].

في حين اشترط السخاوي مواصفات كان قد ورثها عن سلفه أمثال السبكي تتلخص في نقاط عدة منها :

أ- أنّه يشترط في المؤرخ الصدق،

ب- وإذا نقل يعتمد على اللفظ دون المعنى،

ت- وألا يكون ما نقله مما أخذه في المذاكرة ثم يكتبه بعد.

ث- وأن يسمي المنقول عنه.

- فهذه شروط أربعة فيما ينقله، أما يقوله من قبل نفسه فيشترط:

أ- أن يكون عارفا بحال المترجم علما ودينا وغيرها من الصواب وهو عزيز جدا.

ب- وأن يكون حسن العبارة عارفا بمدلولات الألفاظ

ت- حسن التصوير بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص.

ث- وألا يغلب عليه الهوى فيخيل له هواه في الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره.

ج- وأن يكون لديه من العدل ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الانصاف، وإلا فالتجرد عن الهوى عزيز.[5]....

إن الموضوع يحتاج باحث، وبقدر ما يكون الباحث متمكنا ثبتا مخلصا في بحثه وموضوعه، بقدر ما يكون الموضوع جادا مميزا ومؤثرا وسالبا لانتباه البحث فيه في مراحله الكبرى، وما تحويه كل مرحلة وخطوة.

8- **القواعد والآليات التي تضبط عمل الباحث قبل البحث وأثناءه** : بالإضافة إلى ما تناوله ابن خلدون والسخاوي في شروطهما اتجاه الموضوع والقائم عليه تأتي أليات مضافة إلى مواصفات الباحث لضبط مساره، وتحديد وجهته، وديمومة المراقبة لتحريه حتى يكون ناجعا ومنها:

أ- الاكتشاف والتعرف على مجال البحث الذي يليق ويناسب الباحث، والمقصود الاطلاع الحسن على محيط موضوعه والعلوم المساعدة في تفسيره. فالتعرف على البيئة المحيطة بالبحث « من خلال المواضيع ذات الصلة والعلوم القريبة من الموضوع»

ب- القراءة والمراجعة والتفحص، وإنّ حب الاستطلاع الدائم هو المرشد إلى الموضوع والمشكلة، فالقراء الدائمة تنتج باحثا مميزا وموضوعا منتقى بإمعان.

ت- الصبر والتأني في اختيار الموضوع وعدم التسرع، والتركيز عند المطالعة، والتروي في حسن الاختيار للموضوع لتحقيق الدقة والعمق والانفراد عن الغير[6].

ولكي ينمي الباحث قدراته لارتياد البحث وتطوير الموضوع لابد من مداومة فضاءات تلقي العلم، ويكون هذا بالتمعن في الدراسات، وتصفح آخر المقالات، وحضور المناقشات، وطرح التساؤلات على المتخصصين والقامات، وارتياد الجلسات والتجمعات من خلال الندوات والملتقيات، وقبل كل شيئ الإكثار من الدعوات عند الصلوات، لأن التوفيق من الله تعالى:" **ما توفيقي إلا بالله**"[7]، والإجادة في انتقاء الموضوع وتحليله وشرحه وتقديم المفيد فيه لا يناله إلا من وفق في ذلك باعتبار فتح مبين من رب العالمين .

9- هيكل موضوع البحث:

ويقصد به المراحل التي يمر بها الموضوع لأجل البناء والتحليل والانتهاء إلى نتائج، وهي مراحل أساسية لا يمكن بدونها رصد الموضوع وطرح إشكالاته واستخلاص العبر والفوائد منه، ويمثل هذا الرسم البياني هيكل الموضوع المراد

الشكل: هيكل الإجابة عن أسئلة الامتحانات وبناء موضوع بحث أكاديمي

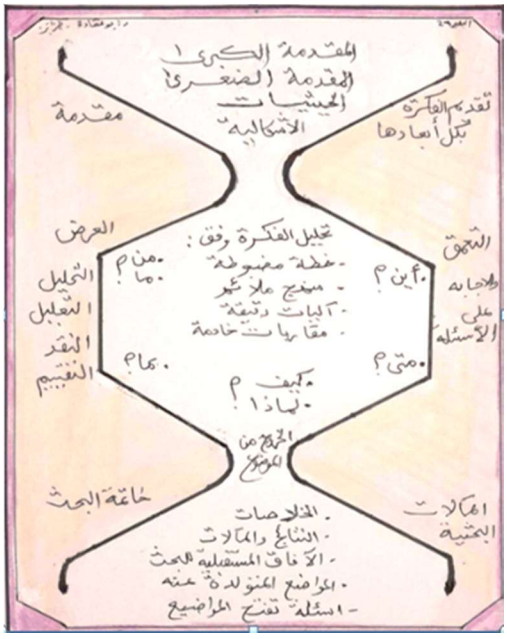

المصدر: اجتهاد المؤلف

10- **قيمة اختيار الموضوع :** لا شك أنّ حسن اختيار الموضوع وضبطه مع المشرف يؤسس لعناصر أخرى تترتب عنه، إذ كلما كان الاختيار والانتقاء أحسن للموضوع كانت آلياته أحسن وأشمل، لأن مقتضى اختيار الموضوع يؤدي إلى ضبط العناصر التي

ستخوض فيه وتبينه وتساهم في تفكيكه، بل ستحيلنا إلى فوائد أخرى تترتب عليه بالضرورة، ومن هذه العناصر التي تنتج عن حسن اختيار الموضوع نجد :

أ- **اختيار المشكلة**.. إنّ اختيار مشكلة مناسبة للبحث تعتبر أحد المهام الصعبة التي تواجه الباحث المبتدئ، واختيار المشكلة يكون أصعب من الإجابة على الموضوع والإجابة عليها. ولذا فمن أساسيات اختيار الموضوع ينتج حسن ضبط الإشكالية التي هي أساس البحث كذلك، ومن وفق في ضبط الإشكالية كان بحثه ناجحا وعمله ممنهجا.

ب- **الدراسات المعتمدة في الموضوع**: يحيلنا ضبط الموضوع وانتقائه وقيمة اختيار الموضوع على المصادر والمراجع التي يجب أن تعتمد، إذ لكل موضوع له مصادره التي تكون عموده الفقري في بناء الموضوع. فكلما كانت المستندات من عمق الموضوع كان التمكن في طرح وتحليل الموضوع جيدا، والعكس صحيح.

ت- **وطبيعة المنهج المتبع** : كما أن لكل موضوع مشرفه وإشكاليته وعنوانه ومصادره، فإنّ لكل موضوع منهجه الذي به تستقيم التصورات، وتحقق الغايات، وينتهي الباحث به إلى مراده. فكثير من الأبحاث تغفل عن إعمال المنهج الصحيح المؤدي إلى الحقيقة، وربما تلجأ إليه ولكن بطريقة عشوائية - وهو ما نجده عند غالبية الدراسات اليوم- فيضيع الجهد والوقت ولا تتحقق المنفعة، وربما يحيد الباحث عن صلب الموضوع بسبب غياب المنهج والمنهجية، وربما لا تتمّ الاستفادة من الوثائق المرصد في البحث ولا تقدم فائدة للموضوع بسب اغفال الباحث له أو عدم اعتباره، فالمنهج هو آلة الحفر في الموضوع، إذا عدمت الآلة ضاع الموضوع، ولم نستفد منه . ومن هنا كانت قيمة اختيار المنهج نتيجة لحسن اختيار الموضوع. وقد تفطن العلماء المسلمون إلى قيمة المناهج في ضبط العلوم وتحقيق الحقائق، فكان منهم في مجال التاريخ كل من السبكي وابن خلدون والسخاوي، هؤلاء العلماء الذين قدموا عملا مميزا من خلال إعمال آليات الاستقراء والتحليل والتركيب، وقياس الشاهد على الغائب، متقدمين بذلك عن المدارس الاوربية التي جاء فيما بعد، وقد برعوا في المنهج الذي نحن بصدده وهو المنهج الاسترادادي فضلا عن منهج الجدل، هذين المنهجين اللذين يجب أن تنصب عليهما الدراسة تحليلا وشرحا لأجل الاستفادة منهما وتقديمهما كمنهجين خالصين برع فيهما المسلمون بالأساس[8].

ث- **الخطة اللازمة للموضوع:** يترتب على اختيار الموضوع ضبط خطة للعمل بها في الموضوع، وكم من موضوع بدا غير ذا أهمية بسبب نوعية الخطة، وكم من حقائق ضاعت بسبب ضياع الخطة، فالخطة بقدر ما هي نتيجة للبحث هي أيضا أداة موضوعية تساهم في تفكيك الموضوع، وبفضل الترتيبات التي تجيئ بها الخطة تكون السيطرة على الموضوع والإلمام بجزئياته، والعكس صحيح.

ولاشك أنّ هناك عناصرا أخرى لا يمكن غمط حقها، ولكن هذه العناصر نراها أساسية تترتب على حسن اختيار الموضوع، وتتأسس على إثر الموضوع، وهي عناصر مهمة وموضحة للموضوع خادمة له مما يجعلها ذات قيمة في العملية البحثية.

11- تفاصيل تضبط العناصر المتحكمة في اختيار موضوع البحث:

إنّ اختيار الموضوع تضبطه تفاصيل تدخل في إطار الوسائل الكفيلة بالسيطرة على موضوع البحث الذي تم اختياره وانتقاؤه للبحث على حسب جميع المستويات، إنها خطوات لابد أن تكون حاضرة لدى الباحث وأبرزها :

أ- **حداثة المشكلة وقابليتها للشرح والتحليل**، فلابد أن نحدد الإشكالية والتي على ضوئها يكون البحث، ولا ننسى أن منطلق البحث أنه يتأسس على « سبعة طرائق "7"..»[9] يقدم من خلاله الجديد أو يحضر المفقود أو يعدل الموجود. ولكن لابد أن تكون إشكالية حقيقية طرحت ماضيا، أو تطرح حاليا فيبحث لها عن قرينة ماضية فيعمل القياس ليخرج البحث بنتائج خادمة للجميع.

ب- **الأهمية والقيمة العلمية:** وتتمثل قيمته العلمية فيما يقدم هذا الموضوع من رؤى، وما يثيره من فضول، وما يستحقه من بحث، يحلّ اشكالا، ويفتح مغلقا ويقدم دليلا، ويعطي بديلا لمعضلات ومغلقات، كما أنّ قيمة الموضوع العلمية تكمن في مدى إثارته لنقاشات بين علية الناس، وما يقترحه من موضوعات تتولد عنه بالأساس، وما يكتب حوله وبعده ومن خلاله من مقالات، وما يعقد له من جلسات. كل هذه المظاهر التي تثمن الموضوع هي بمثابة قيمة وأهمية اكتساها الموضوع.

ت- **مدى صلاحية الموضوع للبحث بين الندرة والوفرة،** فلا يطرح موضوع لا يوجد له حلّ أو يعجز الناس عن استيعابه وفهمه، أو يستحيل النظر فيه لتعمقه في الغيبيات أو تمرغه في الخرافات والأساطير، فلا يمكن أن نؤرخ لظاهرة "**الغول**" مثلا، حيث أن الظاهرة خرافية غير موجودة رغم تداول قصصه، وهكذا وغيره من الموضوعات البعيدة عن مخيال المؤرخ.

ث- **الميولات والدوافع :** وهي الرغبات الداخلية الدفينة، وقد تحدثنا عنها سالفا على أنها تسير مع الباحث وبحثه من البدء إلى المنتهى، فالرغبة عنصر أساسي لا يمكن العمل بدونه.

ج- **توافر المصادر والمراجع:** لا يمكن تناول موضوع عديم المصادر، صفر الوثائق، لأن التاريخ هو الوثيقة، والتي بدورها ينطلق من خلالها المؤرخ ليعطينا معانيها ومراميها وفق لغتها وسياقاتها وقائلها ونساخها، وجميع ظروفها بصوابها وأخطئها.

ح- **مراعاة الوقت اللازم لإنجاز الموضوع:** الوقت في حياة الباحث والبحث أمر أساسي، فلكل موضوع عمر يقضيه، عند الإنجاز وبعد الإنجاز، ليقدر له عمر آخر يبقيه متقدا إلى أن يظهر من المواضيع ما يغطي عنه ويحجبه. فكل موضوع يحتاج إلى زمن ينضج فيه، من زمن ظهور الإشكال وتبلور الفكرة إلى تأسيس الخطة الأولية وتجميع المعلومات ورصها وتنظيمها وشرحها، إلى غاية إخراجها إلى الوجود متكاملة العناصر. والوقت في حياة البحث يجب ألا يقع له الانقطاع أو أن يتغافل عنه الباحث وينشغل بموضوع أو عمل آخر، لأنّ الأفكار تتداعي كلما كانت قريبة الزمان من التفكير، كما أنّ للموضوع وقته فإذا انتهى وقته صار الموضوع غير جاد ولا ينتبه إليه الناس فيموت بالولادة لأنه كالجنين يخرج في حينه ويكبر ويفطم في فترته، ويتغذى في وقته ليقدم نفسه كفاعل في شبابه وكهولته ثم يصير شيخا ينزوي في ركن من المكتبة والأرشيف لا يعود إليه الناس إلا نادرا على سبيل الاستئناس مثلا.

أما عن زمن الكتابة فقد انتهى عدد من الباحثين إلى أنّه ينبغي ألاّ يقلّ الفارق بين الكتابة في الموضوع وزمن الموضوع عن 50 عاما، حيث يفضل إعطاء الوقت وفرصة البعد عن الموضوع لكي لا يقع الباحث تحت التأثيرات المختلفة، وحتى يكون محايدا ولا يتعجل . فإنّ فترة 50 عاما تخرج الموضوع من الفوران والغليان الذي كانت فيه. كما أنّ الوثائق التي لم تكتمل بالظهور والتبلور سوف تتجلى، لذا يجب ترك فسحة من الزمن بين وقت الحادثة وزمن الكتابة عنها[10]. لكن بدون شك هناك من يطرح المسألة خلاف ذلك، ويجعلها ضمن التاريخ الراهن، وهذا الأخير موضوع آخر سنتناوله في موضعه بحول الله تعالى. وفي نفس الوقت لا يمكن إغفال ملاحظة مهمة، وهي أنّ الزمن له من السلطة ما يجعل من الموضوع طويلا أو قصيرا من حيث الحجم، ومسطح أو عميقا من حيث الطرح. فالوقت عنصر مهم في تناول المواضيع.

خ- **مراعاة الناحية المادية والنفسية والبشرية:** والمقصود مدى إمكانية وقدرة الباحث وظروفه الشخصية في تناول الموضوع[11]، وذاك موضوع آخر يجب أن يهتم له المشرفون على الباحث، فكم من باحث انغمس في موضوع فغرق، وآخر وضع قدميه في بداياته ولم ينطلق، وثالث لما وصل إلى إشكالية الموضوع انزلق، وغيرها من النماذج التي لم توفق في موضوعها بسبب سوء الاختيار للموضوع الذي لا يتلاءم وشخصية الباحث ووضعه المادي أو قدراته المعرفية.

د- **<u>ملاحظة مهمة</u>:** ينبغي ألّا يكون غرض الطالب من تناول أي موضوع هو الحصول على الدرجة العلمية فحسب لتحقيق أغراضه الذاتية، كما أنّ الحصول على درجة علمية لا يعني بلوغ الباحث نهاية الشوط، وعلى أنّه صار باحثا في التاريخ، ذلك أنّ الموضوع ليس مقياسا لوحدة لتحديد هذا المبتغى، بل تدخل معايير أخرى أحدها

جدية المواضيع وقوة الطرح والاستمرارية في الأداء وغيرها. فبقدر ما للموضوع من ملمح في تحديد قيمة الباحث وتأثيره تكون مرتبة الباحث المؤرخ لها مقاييس متعددة لا تنحصر في الموضوع فحسب.

12- خطوات اختيار الموضوع والتدرج من التسطيح إلى العمق:

لأجل توجيه الباحث المبتدئ إلى آلية اختيار الموضوع وفق الرغبة الدفينة نقدم هذا النموذج العملي في تقصي واختيار الموضوع بكل سلاسة، وبناء على تتبع الخطوات التي تتماشى وميولات الباحث وقدراته وما يتوفر عليه من طاقات، والهيكل الآتي عبارة عن خطوات من عموم المواضيع إلى أخص خصوصياتها وأعمق مشكلاتها التي تتوجب الحلول:

مخطط اختيار الموضوع من العام الى خاص الخاص

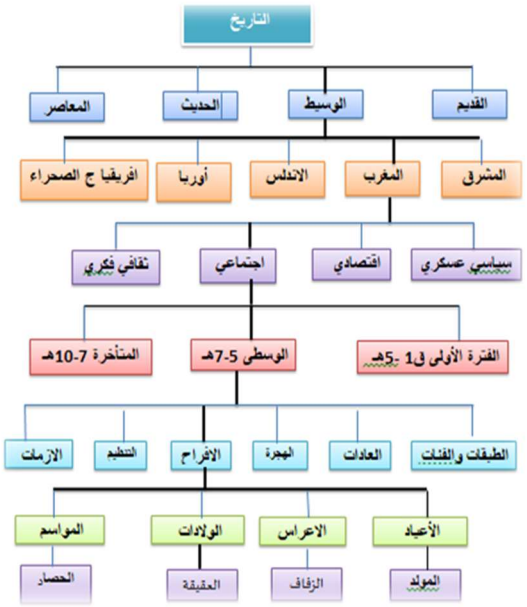

المصدر: من اجتهاد المؤلف

يوضح المخطط مراحل الانتقال من العام إلى الخاص بحسب رغبة كل باحث على مستوى عدد من المجالات والتخصصات والميادين، فالناس تختلف في الرغبة في البحث ميدانا من المشرق إلى المغرب، مثلما تختلف في مجال ما عسكري سياسي أو الاقتصادي أو غيرهما ممّا هو مبين في المخطط، وهكذا نسير وفق رغبتنا إلى غاية الموضوع الدقيق الذي يُصنع الفارق بين الباحثين، ويؤسس للخط العلمي الذي ينتحيه كل باحث وينشئ من خلاله منهجه وطريقه في البحث وفلسفته في تحليل التاريخ، ومن خلال هذا تبرز المسارات وتتكون المدارس التاريخية.

13- أسئلة تحدد مسارات الموضوع:

إليك أيها الطالب الباحث أسئلة لابد منها، ومن اللازم أن يطرحها كل مرتاد يود الخوض في البحث التاريخي المفيد. أسئلة الجواب عنها يمكن أن تحدد البدايات والمسارات والغايات والعراقيل والآفاق...

أ- **السؤال عن الباحث:** الباحث في الموضوع له مواصفات يجب أن تحقق نموذج الطالب الباحث، ولأجل تحقيق هذا يجب الإجابة على هكذا أسئلة قبل البدء وهي:

- هل نتوفر على الباحث النموذج المكين في تحديد الموضوع الذي يلقى العناية والقراءة؟

- ما هي المعايير التي نقيس بها النموذج المقبول الذي نريده للبحث في الموضوع؟

- ما الكيفيات الدقيقة التي توجد هذا النموذج؟

- هل نجحت منظومة التعليم العالي "التي تمثل الأكاديمية" في تحقيق هذا النموذج؟

- كيف نبقي على وجود النموذج، لنستمر في التدرج في مسالك الباحثين، ويؤسس مسارا بحثيا ما؟

- ما الواجب في أن نستثمر في هذا النموذج ليحقق لنا نماذج من الباحثين على منواله مستقبلا؟

إنها أسئلة بقدر ما تجعلنا نمعن في اختيار القائم على الموضوع والعملية البحثية، فإنها تدفعنا أيضا إلى التفكير مليا في صناعة هذا النموذج الذي نفتقده في كثير من تخصصاتنا العلمية والبحثية.

ب- **السؤال عن جدوى الموضوع:** الموضوع وقيمته العلمية وجدواه الآنية والمستقبلية، ومدى الفاعلية والاستمرارية ليحقق الغرض.

والإجابة عليه تكون بطرح أسئلة للإبانة عن قيمة الموضوع والتمكن منه، وهي:

- ما الغاية من موضوع البحث؟ وعليه يجب أن نحدد الأهداف من اختيار هذا الموضوع أو ذاك.
- هل تمّ البحث فيه سالفا ؟ وبذلك النظر في الدراسات الأكاديمية في الموضوع ذاته؟
- وما قيمة المنجز الذي يحققه الموضوع والنتائج المرجوة؟
- هل هناك إجابات عنه سابقا؟ بعد تحديد الأبحاث السالفة فيه أو حوله وفي نتائجه
- هل كانت هذه الإجابات غامضة؟ أم قاصرة؟ أم غير مجدية؟ أم طرأت عوارض تستحق الإبانة عنها؟
- ماهي نقاط ارتكازه؟ وفضاءات إضاءاته؟ وبذلك تحديد العناصر الأساسية ومداه القصير والمتوسط والطويل.
- ما المجالات التي سيستفيد منها؟ وتلك التي يفيد فيها؟ وبذلك تحديد عملية التأثير و التأثر ونطاقات البحث.
- ما هي العراقيل والمحاذير والحدود والمزالق التي وقع فيه السابقون في البحث فيه؟

ج- **السؤال عن كيفية تناول الموضوع:** أو كيف يصير تناول الموضوع مقنعا مجديا ومجيبا عن الاشكال الذي وضع منذ بداية التفكير في الموضوع، والإجابة عن تساؤلاته. وما الوسائل الكفيلة باستخلاص العبر من الموضوع، وتحليله تحليلا قيّما وصميما. إنه سؤال الوسيلة والكيفية، لنطرح حوله أسئلة منها على سبيل الذكر فقط:

- ما هو منهج التناول الكفيل بالإجابة والتسريع في البحث المجدي؟

- ماهي الأدوات البحثية اللازمة التي يمكن أن توصلنا يقينا نحو الإجابة عند استعمالها؟

- ما هي الخطة المحتملة والكفيلة بالتحري في الموضوع وتحقيق المراد؟

- ماهي المصادر والمراجع والدراسات الأولية والأساسية التي بها يتجلى الموضوع؟

- من هم الأشخاص الكفيلون بالاستفادة منهم؟ والواجب استشارتهم واستنصاحهم؟

إنّه سؤال المنهج...والآليات...والمقاربات ....والترتيبات الداعمة لتناول الموضوع والتركيز في شرحه وتحليله.

ج. **سؤال عن آفاق الموضوع:** أو مدى انفتاح الموضوع على مساحة رحبة أخرى، وفضاءات أخرى.

- ما هي المواضيع التي يجب أن نبثّ فيها خلال شرح الموضوع، والمواضيع التي يجب إرجاؤها إلى حين؟

- الأفكار الرئيسة التي تحتاج إجابة وتحليلا، والأفكار التي يمكن الإشارة إليها أو التي يمكن تفاديها حتى لا نتيه.

- كيف يستمر البحث في الموضوع لاحقا والزوايا التي يجب إنارتها والخوض فيها؟

- ما هي الآليات التي يمكن أن يمتد بها الموضوع للتفصيل فيه؟ «.. التأليف .. الندوات ..الملتقيات ..الفرق ..المخبر..»

- هل استوفيت الموضوع الدي بدأته وفق الإشكالية الأولية أم يجب إعادة النظر لأجل السيطرة عليه أو توليده في مواضيع أخرى ذات صلة...؟

إذا هي أسئلة حول الباحث في الموضوع والموضوع في حدّ ذاته، وما تعلق به من عناصر أخرى، والاجابة عليها من قبل الباحث يمكن أن توصله إلى المقصد، وفهم الموضوع والمطلب، وتحليلهما واستخراج الفوائد منهما.

14- **أخطاء في اختيار الموضوع:**

تتبادر إلى الذهن أسئلة تشكك في عدة خطوات يتدرج من خلالها الباحث عند اختيار الموضوع، وتشعر الناس ببعض الأخطاء التي قد يرتكبها بعض الباحثين، ومن هذه الأسئلة التي تبيّن مدى الخطأ يأتي السؤال التالي وهو: هل اللجوء إلى الآخر في اختيار الموضوع ظاهرة صحية؟

- إنّ عملية اختيار البحث تنبع من النفس وبحرية، وعن طريق القراءة والتفكير، يقول أحدهم: "**ايفان**" "...أثبتت التجارب أنّ الذين يتوفقون إلى اختيار موضوعاتهم بأنفسهم يكونون أكثر تفوقا ونجاحا وسعادة بالعمل من غيرهم الذين لم يتوفقوا ..." لأنّ اتباع غيرهم في الطريقة ربما يوقع الطالب

في موضوع ليس من اختياره و ميوله فيتعثر، والأخطر منها أن يصير بذلك البحث عالة على غيره[12].

- ومن الأخطاء أيضا السعي بل الهرولة نحو اختيار الموضوع دون معرفة قدرات الباحث، إذ لابد أن يكون الاختيار متفقا مع اهتماماته ومناسبا لقدراته في اتخاذ الموضوع الملائم ومنهجه المواتي وخطته الناجحة... وإنّ لجوء الطالب إلى غيره في هذا - ربما - هو دليل على قلة اطلاعه ونقص خبرته في مجال التخصص[13].

- ومن الأخطاء وضع جدول زمني دقيق وصارم مع عدم مراعاة الطوارئ والمشاغل، مما يدفعنا إلى التسليم بالأمر الواقع أو الانسحاب من المعترك وترك الساحة للغير يعبث بها.

- ومن الأخطاء القاتلة للبحث وللموضوع قضايا السرقات العلمية، ومحاولة التخلص من الموضوع والانتهاء منه، واللّجوء إلى الأخذ عن الآخر دون إحالات وتهميش يوضع الموضوعية والأمانة العلمية، ولاشك سوف يترتب عن السرقات إخلال في المقامات والقيمة للباحث وللموضوع فضلا عن المشرف على الموضوع الذي وضع كل ثقته في الباحث.

ختاما فإنّ عملية اختيار الموضوع تخضع لأليات وطرق يتدرج من خلالها الباحث حتى يصل إلى مبتغاه العلمي وبوضوح، ولا يمكن فصل عناصر الموضوع عن بعضها باعتبار التكامل الحاصل بينها، وباعتبار أنّ كل عنصر يؤدي إلى غيره بالضرورة، وربما أحسن عنصر يعبر عن الموضوع بشكل أدق هو عنصر الإشكالية التي هي عمق الموضوع والذي جاء بسببها ولأجلها في الإجابة عنها بدقة وراحة وموضوعية وانتباه. كما يأتي الباحث كفاعل هو العنصر الحاسم للعملية البحثية. ثم يأتي المشرف على البحث ومدى مساهمته في توليد الموضوع ثم ترتيب عنوانه وحسن فرز المعلومات.

وإذ ننتهي في هذه الأسطر لنقرّ بقيمة وأهمية الموضوع في بناء البحث العلمي التاريخي، فإنّ الواجب يملي علينا أن نقرّ أيضا بأهمية وقيمة العناصر الأخرى الخادمة للموضوع، وربما يكون الباحث في المرتبة المتقدمة بهذا الشأن، لنخلص إلى ضرورة العناية بالباحث عن الموضوع وفي الموضوع، والعناية به تتطلب نظرا في الآليات التي تؤسس لباحث طموح وواع، ابتداء من منظومة التعليم على كل المستويات إلى توفير الوسائل لتحقيق الغايات، ثم الاستثمار في الفئات الفاعلة النموذجية لإعطاء البحث قيمته.

والعناية بالباحث لتحقيق أبحاث جادة تقدم مواضيع لها عمقها وفائدتها تقتضي إعادة النظر في مناهج البحث وطرقها وكيفياتها وآلياتها التي نسير عليها عبر مراكز أبحاثنا ومخابر جامعاتنا وفرق بحثنا، فهي مناهج غير منسجمة من حيث انتشارها بالجامعات أو الاستقرار على نوع ونمط محدد يؤدي الغرض، أو نقص العمل بالمنهج. ويقتضي منا هذا أن نولي أهمية قصوى لمقياس المناهج فلا نجعله إلاّ ضمن المواد الأساسية ويقوم عليه أساتذة متخصصون أو لهم من التجربة ما توفر المطلوب وتحقق المرغوب. كما يجب الاستفادة من المناهج الحداثية التي تتوافر عليها العلوم الاجتماعية والمساعدة لعلم التاريخ، من حيث استعمال مفاهيمها وآلياتها، لأنها مناهج نراها كفيلة بخدمة التاريخ في قضاياه الدقيقة، وخاصة المواضيع المقترنة بالذهنيات والمخيال وما شابه.

إن الدعوة لتبني بعض المناهج الحديثة الخادمة تقودنا حتما إلى إطلاق صيحة أخرى تهم العملية المنهجية التي يجب تفعيلها لدى الباحثين في التاريخ - تحديدا- وهي ضرورة العودة إلى قراءة مناهج المفكرين والفلاسفة المسلمين السابقين، الذين قدموا عصارة جهدهم في هذا الشأن، حيث لم نستفد بعد – نحن – منه بقدر ما استفادت منهم الحضارة الغربية فبنت مناهجها على أضواء فكرهم. فما قدمه العقلانويون المسلمون " المعتزلة، والاشاعرة، والأحناف" يعد عملا مميزا، وما تناوله الشافعي في أصوله وطرق تأسيسه للفتاوى، وما اجتهد فيه الآمدي والرازي والغزالي وابن العربي،

وابن حزم الاندلسي وابن عبدالسلام وابن دقيق العيد المصريين والشريف التلمساني ومحمد بن يوسف التلمساني، وغيرهم كثيرون ممن جاء بعدهم في مجال المناهج المعرفية يعد عملا جبارا سيفيد العديد من الباحثين في مجال التاريخ وغيره حينما نتثبت من عمليات وآليات المناهج التي سبق وأن خاض فيها هؤلاء .

عموما إنّ الدعوة للاستفادة من المناهج تتطلب منا جهدا آخر وفي مقال آخر لتوضيح قيمة المناهج وكيفية اعمالها في تحليل مواضيع البحث، باعتبارها آلة حفر مهمة لا يمكن إغفالها أو الاستغناء عنها، حيث أن لكل موضوع له منهجه المناسب لتحليله وتفسير قضاياه، والغوص في عمقه لمعرفة خفاياه.

قائمة المصادروالمراجع المعتمدة:

1- ابن خلدون : المقدمة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، 2003.
2- شمس الدين السخاوي(ت902ه/1497م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1986
3- أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، مصر،1996.
4- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط8،.دار المعارف ، القاهرة،
5- سعدالدين السيد صالح: البحث العلمي رؤية إسلامية، ط2،مكتبة الصحابة ، جدة الشرقية، 1993.
6- عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط3،، دار الشرق، جدة. 1986
7- علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت ، ط1984،
8- مولود عويمر، علاوة عمارة: نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962-2012 ، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2013.
9- محمود الحويري : منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001.

. الهوامش:

[1]- يراجع في هذا لرصد الأبحاث والدراسات والمواضيع الاكاديمية الصادرة عن الجامعة الجزائرية كتاب الباحثين: مولود عويمر، علاوة عمارة: نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962-2012 ، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2013.

2- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف ، القاهرة، ط8، ص 55

[3] حسن عثمان: نفس المرجع، ص56

[4] - ابن خلدون : المقدمة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، 2003،ص 39

[5]- حول شروط المؤرخ أنظر شمس الدين السخاوي(ت902ه/1497م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 ص107- 127.

[6]- سعدالدين السيد صالح: البحث العلمي رؤية إسلامية ط2،، مكتبة الصحابة ، جدة الشرقية، 1993، ص 68. راجع أيضا أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، مصر،1996. ص 85.

[7]- الآية رقم 88 من سورة هود

[8] - راجع في هذا الشأن علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت ، ط1984، ص 349.

[9] وهذه الأسباب والاغراض هي متفرق فيجمعه أو مجمل فيفصله أو غامص فيوضحه، أو غلط فيصوبه أو عام فيخصصه، أو مبعثر فيرتبه، أو جديد يبتكره...

[10] محمود الحويري : منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط2001، ص 249

[11]- سعدالدين السيد صالح.: المرجع السابق ، ص 70

[12]- عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط3،، دار الشرق، جدة، 1986. ص 27؛ أحمد بدر: المرجع السابق، ص85.

[13]- سعدالدين السيد صالح: المرجع السابق، ص 67.